عدد خاص
الكتابة والخط

المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة
تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة
المجلد التاسع والعشرون - العدد الاول - ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ

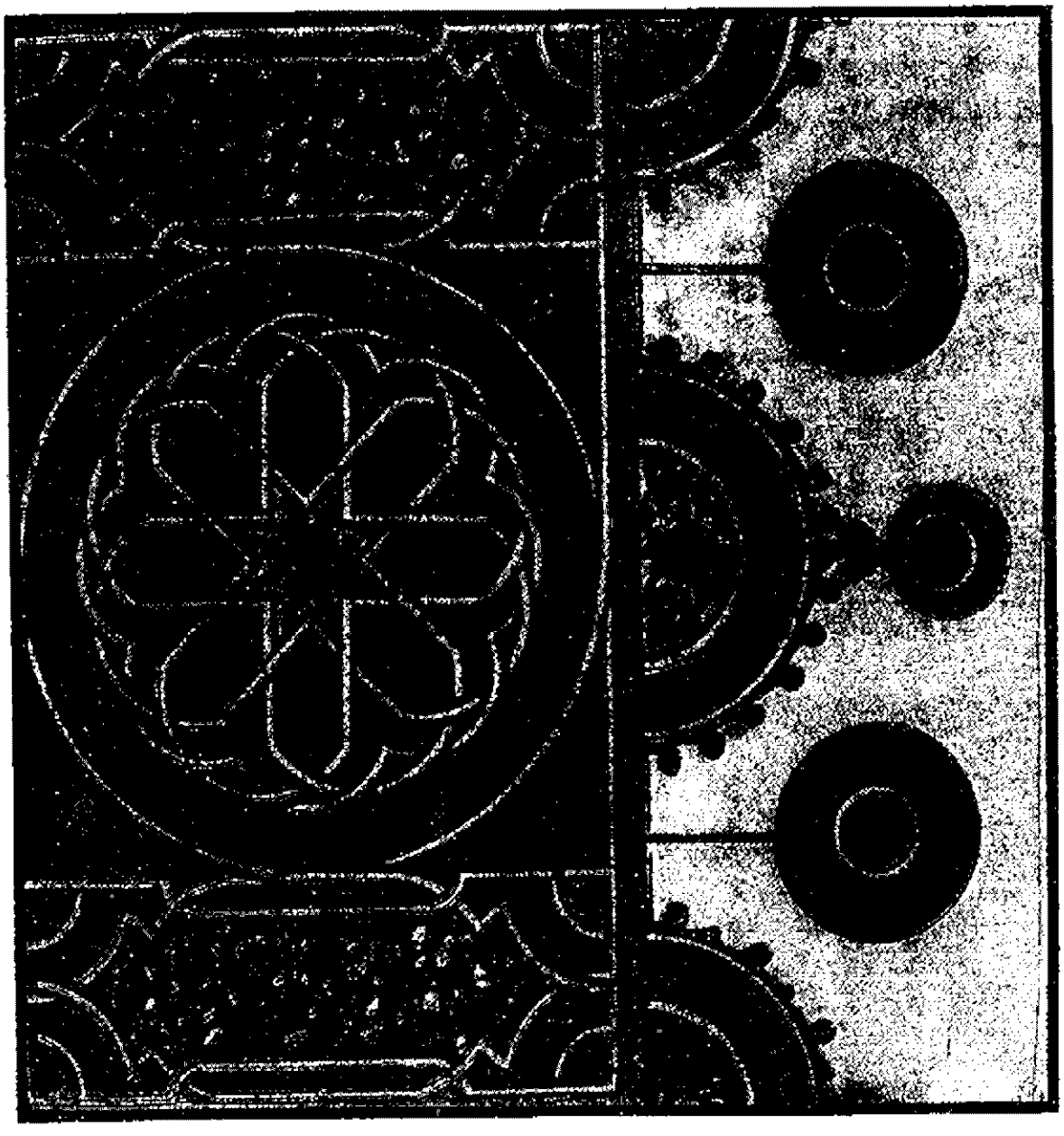

www.dorat-ghawas.com

المحتوى

■ المورد

الكتابة ... تميز الفعل المشهود ..... د . محمد البكاء ٢

■ بحوث ودراسات

فجر التدوين المعرفي ..... يعقوب افرام منصور ..... ٤ ـ ١٣

كتابة الصورة ..... د . حنا يقاعين ..... ١٤ ـ ٢٢

الكتابة والتطور الحضاري في العراق القديم ..... ترجمة / كاظم سعد الدين ..... ٢٣ ـ ٣١

التعليم في العراق القديم ..... أ . د . أحمد مالك الفتيان ..... ٣٢ ـ ٣٦

صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الاسلامية ..... أ . د . مروان عبد الملك ..... ٣٧ ـ ٤٨

كتب وماصنع منها في القرآن الكريم ..... د . محمد عبد المطلب البكاء ..... ٤٩ ـ ٥٨

الكتابة في عصر ماقبل الاسلام ..... أ . د . محمود الجادر ..... ٥٩ ـ ٦٥

المعجم الوجيز في مصطلحات الكتابة ..... أ . د . عناد غزوان ..... ٦٦ ـ ٧٣

كتب القبائل وبواعث تدوينها ..... د . احمد اسماعيل النعيمي ..... ٧٤ ـ ٨١

ما كتب على السيوف ..... عبد القادر التحافي ..... ٨٢ ـ ٩٠

تطور الخط العربي في العراق ..... اسامة ناصر النقشبندي ..... ٩١ ـ ٩٥

الخط العربي في المكتبة الشرقية ..... أ . د . حسين علي محفوظ ..... ٩٦ ـ ١٠٠

الاصلاح والجمالية في الخط العربي ..... أ . د . ناهض عبد الرزاق ..... ١٠١ ـ ١٠٩

الخط الكوفي نو الشرفات ..... د . نسيبة محمد الهاشمي ..... ١١٠ ـ ١١٩

صناعة الحبر عند العرب ..... ناجي محفوظ ..... ١٢٠ ـ ١٢٧

■ نصوص محققة

شرح قصيدة ابن البواب ..... يوسف ذنون ..... ١٢٨ ـ ١٤٥

بليوغرافيا الخط العربي ومايتصل به ..... اعداد ـ حسن عربيي الخالدي ..... ١٤٦ ـ ١٥٦

في المكتبة ..... عرض د . هدى شوكت ..... ١٥٧ ـ ١٦٠

www.dorat-ghawas.com

صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الاسلامية

أ . م . د . مروان عبد الملك محمد
جامعة بغداد ـ كلية الاداب ـ قسم الاثار

العلم ضرورة أساسية للفرد من جهة ، ومطلب أساسي أجتماعي من جهة أخرى فلا الفرد الواعي بامكانه الاستغناء عنه ولا المجتمع ايضاً . وكلما أرتقى الانسان في سلم الحضارة أزدادت حاجته للعلم والتعلم الى حد خروجها من حد الكماليات الى حد الضروريات . أدركت ذلك الحضارة العربية الاسلامية ، حيث لعب الاسلام دوراً هاماً فيها ، عندما صاغها صياغة جديدة غير فيها كثيراً من مفاهيمها وطبائعها وتطلعاتها . فاذا به يفجر طاقاتها ويتجه بها نحو هدف عظيم وغاية نبيلة ، وهي عبادة الله الواحد والخروج بالناس من الظلمات الى النور بنشرها مبادىء انسانية تستهوي القلوب والنفوس فاضحت بذلك من خير الامم . « كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . » كان من أهم الملاحظات التي يلاحظها الدارسون للحركة العلمية في الحضارة العربية الاسلامية ، هو الكم المتنوع في آيات القرآن الكريم التي تحث على العلم والتعلم وتتكلم عن منزلة العلماء . فاول آية نزلت على النبي محمد (ﷺ) (أقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق أقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » العلق : (١ ـ ٥)

وبعدها تنزلت الآيات تترى لتظهر أهمية العلم ومنازل العلماء (.... أنما يخشى الله من عباده العلمؤا أن الله عزيز غفور) فاطر : آية ٢٨ (.... قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب) الزمر : آية ٩ (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا اوتوا به قبل ان يرتد اليك طرفك ...) النمل : آية ٤٠ (... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير » المجادلة : آية ١١ وآيات أخرى كثيرة تتناول هذا الموضوع[1] وقد أردف هذه الايات أحاديث كثيرة للرسول محمد (ﷺ) حول الموضوع ذاته . نذكر بعضاً منها

« اطلب العلم من المهد الى اللحد »

« من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي

« تعلموا العلم وتعلموا لنعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه » رواه الطبري

« ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا أنطمست النجوم أوشك ان تضل الهداة » رواه أحمد

ولكون القرآن الكريم وسنة الرسول (ﷺ) المصدرين الاساسين اللذين يعتمد عليهما كل الاعتماد في التوجيه والتشريع ، ومنها يستمد المسلمون المباديء الاساسية والقواعد الرئيسة التي ترسم لهم الطريق وتحدد لهم ملامح الفكر . نرى مظاهر الحركة العلمية منذ بدء عصر الرسالة عندما كان الرسول الكريم (ﷺ) يدعو الناس الى العلم ويحثهم عليه كونه الطريق الرئيس الذي لابد منه لفهم ماجاء في كتاب الله العزيز . فكان لمجالس الرسول (ص) في هذه المدة المبكرة من الحضارة العربية الاسلامية الاثر الكبير ولما كان معظم هذه المجالس مجلة المسجد ، فقد اضحى المسجد المكان الاول لتعلم العلم ، واستمر على هذا المنوال لمدة من الزمن . حيث كانت حلقة الدرس تاخذ أحدى زوايا المسجد او في اماكن ملحقة بالمسجد[2] . يحضر اليها لتعلم القرآن والسنة والفقه والادب واللغة وشيئاً فشيئاً أخذت اماكن العلم والدرس تستقل عن الجوامع والمساجد .

صور أماكن العلم والدرس في الجوامع والمساجد :

كان المسجد هو النواة الاولى للتعلم في حضارتنا العربية

www.dorat-ghawas.com

الاسلامية . فليس هناك من جامع أو مسجد في مدينة من المدن العربية الاسلامية يخلو من حلقات العلماء والمدرسين . ذكر المقدسي عن جامع عمرو بن العاص بالفسطاط أنه « بين العشائين جامعهم مغتص بحلق الفقهاء وأئمة القرآء وأهل الادب والحكمة . دخلتها مع جماعة من المقادسة فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين : دوروا وجوهكم الى هذا المجلس . فننظر فإذا نحن بين مجلسين . على هذا جميع المساجد . وعددت فيه مائة وعشرة مجالس »[٢] وقد كان لنا من ماضينا التليد مدرسة بغداد الفنية التقطت وصورت مشاهد حياتية مختلفة من الحياة التي كانت سائدة آنذاك[٤] . ومن أشهر فناني هذه المدرسة الواسطي يحيى بن محمود بن يحيى الواسطي الذي كان أحد من صور مقامات الحريري وقد عكست تصاويره الاتقان والدقة في النقد الحقيقي الصادق لجوانب الحياة في العصر الواسطي[٥] .

من الامور التي التقطها ورسمها مجالس الخطبة في صلاة الجمعة والتي هي أحد مجالس العلم الفقهية في (لوح ١) نطالع خطيباً ارتقى المنبر وأخذ يخطب بالمصلين ويظهر وهو يقف مستنداً على السيف مرتدياًطيلسانه الاسود .

في (لوح ٢) نطالع ايضاً مشهداً آخر لخطبة الجمعة . الخطيب على المنبر وجمع المصلين التام أمامه وأنتظم ولشدة الزحام وقف قسم من الحاضرين .

هذا من جانب ومن جانب آخر صور لنا فناننا الواسطي ايضاً مجالس العلم التي كانت تعقد في المساجد والجوامع .

في (لوح ٣) صور لنا أحد المساجد في مغرب الدولة العربية الاسلامية حيث يظهر مجموعة من الرجال جالسين في احد حلق الدرس وقد دخل عليهم بطل المقامات المدعو بالسروجي وقد بادرهم بالتحية والسلام فالتفت اليه الحاضرون رادين التحية .

في (لوح ٤) نرى حلقة أخرى يظهر فيها بطل المقامات السروجي يقف واعظاً في مسجد بني حرام بالبصرة .

في رسوم الواسطي نرى ابداعاً وجمالًا فنياً وتصويراً دقيقاً لشكل وأعراف الحياة التي كانت سائدة في العصر العباسي في رسومه التي نثرها بين طيات كتاب مقامات الحريري التي نسخها بنفسه والمحفوظة حالياً في المكتبة الوطنية بباريس[٦] . نجد انه قد « نجح في أختيار العبارات أو المواقف المهمة في كل مقامة وترجمها بمنمنمة ، طفت بواقعيتها وتعبيراتها وجوها الفني على الروعة الادبية للعبارة الموضحة . ومما سهل هذه المهمة هو أن الواسطي قد نسخ المخطوطة فكان يتحكم باختيار الموقف الهام في كل مقامة وتحكم أيضاً بالفراغ ، سعته وصغره ، الذي تركه للتصويرة . وهذا قد لا يتوفر لمزوق آخر فمن المعروف ان الناسخ ينجز عمله اولًا ، وهو الذي يتحكم في ترك الفراغات للتصاوير ، ولم

لوح ١

أبو زيد خطيب في جامع سمرقند ، المقامة ٣٨ ، السمرقـ
، الورقة ٨٤ الوجه الثاني (٢١١ م م × ٢٢٨ م م)

لوح ٣ ،

السروجي يدخل أحد مساجد المغرب ، المقامة ١٦ ، الغـ
، الورقة ٤٢ ، الوجه الاول (٢١٠ م م × ١٩٧ م م)

يتقيد الواسطي في مراعاة عدد مايحلي به المقامة من المنمنمات ، فقد وضح بعضها بصورة واحدة وبعضها الآخر باثنتين او ثلاث ولم يوضح قسماً منها . »[٧]

صور الكُتاب والمكتبات :

الكتاتيب جمع كُتاب انشات ليتعلم فيها القرآءة والكتابة وقرآءة

www.dorat-ghawas.com

لوح ٤ ،
ابو زيد يعظ في مسجد بني حرام في البصرة ، المقامة ٤٨ الحرامية ، الورقة ١٥٨ الوجه الثاني (٢١٥ م م × ٢٥٠ م م) .

القرآن الكريم الى جانب علوم الحديث واللغة . اشتق أسمها من تعليم الكتابة . كان بداية ظهورها في الاسلام من زمن الرسول (ﷺ) عندما جعل فداء بعض أسرى معركة بدر من الذين يجيدون القراءة والكتابة لانفسهم . ان يعلموا عشرة من المسلمين . وقد ازداد ظهورها في الحضارة العربية الاسلامية في القرن الثاني الهجري وماتلاه من قرون[٨] .

وبمرور الوقت ازدادت العلوم التي تدرس في الكتاب ، فاضيف الى تدريس ماتقدم القصص والأخبار والشعر والحساب . والكُتاب يشبه كثيراً في وقتنا الحاضر المدرسة الابتدائية[٩] .

كانت الكتابة منفصلة في التعليم عن القرآءة منذ البدء . حيث كان الصبيان يتعلمون الخط والحساب في الكتاب ومن ثم يتحولون الى المسجد الى قاريء القرآن الكريم « ليلقنه آياته في المسجد او خارجه فلا يدخل الجامع الا بعد حفظ القرآن . وقد ظهر هذا الفصل واستمر في المشرق . وان كانوا في المغرب والاندلس قد جمعوا الاثنين فيما يبدو من استحسان أبن العربي أبي بكر (ت . سنة ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م) وأبن جبير للطريقة المشرقية ومن تسامح أحد القضاة في مسجد قرطبة في أصابته بحذاء تلميذ يضرب صاحبه وذلك تنزيهاً لكتاب الله عن لهو الصبية بكتابته . وقد ورد ذلك في كتب الحسبة . وكانت الكتاتيب فسيحة أحياناً كما في بلخ حيث كان يتعلم في كتاب ابي القاسم البلخي ثلاثة الاف تلميذ وكان يحتاج الى حمار ليدور عليهم كما كانت كثيرة العدد وبكل مدينة فيها مسلمون . وقد ذكر ابن حوقل انه عد حوالي ٣٠٠ معلم كُتاباً في مدينة واحدة هي مدينة بلمرة في صقلية »[١٠] .

نعود مرة اخرى الى رسوم الواسطي لنرى في (لوح ٥) كُتاباً من العصر العباسي خلده لنا فناننا المبدع فنطالع فيه اسلوب التعليم والواح التعليم التي كان يستخدمها الطلاب آنذاك وكيف ان المعلم كان يجلس على تخت خاص له والطلاب يفترشون الارض أسفل منه وكيف ان أحد الطلاب كان يمسك حبلاً يحرك بواسطته المروحة .

كذلك في (لوح ٦) يرسم نفس الكتاب ولكن بمنظور آخر . ان

لوح ٥ ، أبو زيد يعلم في المكتب ، المقامة ٤٦ ، الحلبية ، الورقة ١٥٢ الوجه الاول (٢١٣ م م × ١٩٠ م م .

هذين الرسمين يذكران كثيراً بكتاتيب الملالي التي كانت منتشرة في الاقطار العربية في مطلع القرن الماضي والتي نطلق عليها عندنا في العراق (بالملة) .

ان مشهد التعليم كان على مايبدو يستهوي طائفة من الصناع والحرفيين في العصر العباسي ومنهم أبن الرزاز الجزري احد الميكانيكيين المتميزين في العصر العباسي[١١] . من مآثره انه وضع تصاميم ومخططات لآلات ميكانيكية متنوعة من ضمنها تفاصيل تشكل (٦) ساعة بقاقة (لوح ٧) يظهر في أعلى الساعة معلم مع أحد الطلاب وقد مسك المعلم بعصاه وحمل الطالب لوحه .

www.dorat-ghawas.com

لوح ٦ ، أبو زيد يعلم صبياناً ، المقامة ٤٦ الحلبية ، الورقة ١٤٨ الوجه الثاني (٢١٥ م م × ٢٢٩ م م) .

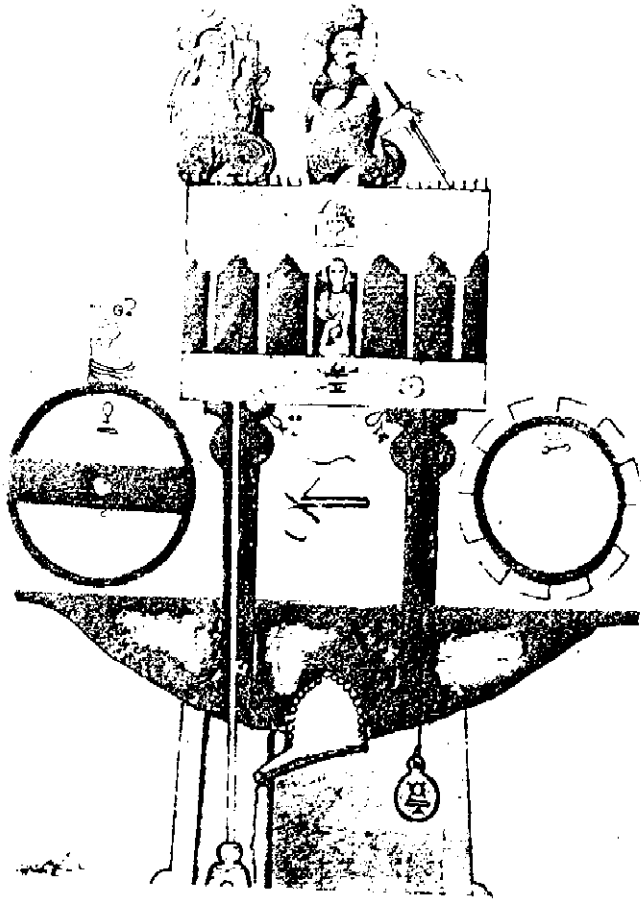

(لوح ٧)

ان مما يتصل بالحديث عن اماكن العلم المكتبات وهي اماكن حفظ الكتب . ولا شيء يداني حضارتنا العربية الاسلامية من حيث التغني بالكتاب والولع به والرغبة فيه والتحدث عنه . ولنا من شواهد ماضينا التليد اشارات كثيرة ومتنوعة تتحدث عن هذا الجانب بالتحديد ولا أدل عن المثل الذي وصل الينا من أجدادنا العظام وهو « وخير جليس في الزمان كتاب » . لقد كانوا يفضلون مطالعة الكتب على غشيان الناس في مجالسهم ، ويعتقدون الانس بها أقرب الى القلب من الانس بذوي الجاه والسلطان .

ذكر ان محمداً بن عبد الملك الزيات الوزير الاديب أعتزل فترة في بيته واراد الجاحظ زيارته ، ورأى أن خير هدية يستصحبها معه كتاباً لسيبويه في العربية ، وتسلم الوزير الهدية بفرح وسرور بالغين وقال للجاحظ . والله ما أهديت لي شيئاً أحب الي منه[١٢] . وروي ان أحد الخلفاء طلب بعض العلماء ليسامره . فلما جاءه الرسول رآه جالساً وحواليه كتب يطالعها ، فقال له أجب أمير المؤمنين انه يستدعيك . فاجابه العالم قل له عندي قوم من الحكماء احادثهم ، فإذا فرغت منهم حضرت . فلما عاد الرسول الى الخليفة وأخبره بماقال العالم . ساله الخليفة ومن هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده ؟ فيجيبه والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد . قال الخليفة آمراً فاحضره الساعة كيف كان . فلما جيء بالعالم ومثل بين يديه ساله من هؤلاء الحكماء الذين زعمت انهم كانوا عندك ؟ عندها انشده

هم جلساء ماتمل حديثهم
امينون مامونون غيباً ومشهدا
اذا ماخلونا كان خير حديثهم
معيناً على نفي الهموم مؤيدا
يفيدوننا من علمهم علم مامضى
وعقلاً وتاديباً ورأياً وسؤددا
فلا ريبه تخشى ولا سوء عشرة
ولا نتقي منهم لساناً ولايدا
فان قلت أموات فلست بكاذب
وأن قلت احياء فلست مفندا

فعلم الخليفة انه أنما يعني بالحكماء الذين كان يجتمع معهم . كتب العلماء والحكماء ، فلم ينكر عليه أحجامه عن القدوم اليه[١٣] .

وجاء ايضاً ان نوح السامانى سيد ماوراء النهر ارسل الى الري يستدعي الصاحب بن عباد ليوليه الوزارة . الذي اعتذر اليه وكان عذره ان كتبه تحمل على ٤٠٠ جمل وان فهرستها يقع في عشرة مجلدات . ولا هو يستطيع الذهاب بدونها . فلا يستطيع حملها معه . فآثر ان يبقى بجانبها[١٤] .

ومن المكتبات التي أشتهرت في التاريخ خزانة بيت الحكمة التي أنشات في عهد الخليفة هارون الرشيد في بغداد ونمت

www.dorat-ghawas.com

وتوسعت بشكل كبير في عهد ولده الخليفة المأمون . فقد اصبحت في زمنه جامعة كبيرة يؤمها العديد من المتعلمين من كافة الطبقات الغنية والفقيرة ليتيسر لكل فرد ان ينال قسطه من الثقافة والعلم . « ثم صار في العراق عدة خزائن للحكمة . وأنشأ الاغالبة دار حكمة بمدينة القيروان في شمال افريقيا في القرن الثامن الهجري ، وأنشأ الفاطميون دار حكمة في القاهرة حوت نفائس المخطوطات في الحكمة والعلم والادب والفن وساعد الفاطميون (آل عمار) في أواخر القرن الخامس الهجري على تاسيس دار حكمة في مدينة (طرابلس ـ لبنان) وكانت من الدور المشهورة في العالم الاسلامي ، ازدهرت مدة نصف قرن . ثم دمرها الفرنجة »[١٥] في كل ماتقدم نرى ان المكتبات كانت نوعين عامة وخاصة . وعن شكل ومكان المكتبات الخاصة ذكر ان المقدسي دخل « خزانة كتب في دار عضد الدولة البويهي بشيراز ووصفها بانها ، حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد . ولم يبق كتاب صنف الى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم الا وحصله فيها وهي أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن في كل وجه . وقد الصق الى جميع حيطان الازج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق ، عليها ابواب تنحدر من فوق ، والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرسات فيها أسامي الكتب . ولايدخلها الا كل وجيه ...

ودخل ابن سينا خزانة نوح بن منصور الساماني في بخارى

لوح ٨ ، أبو زيد في دار كتب في حلوان ، المقامة ٢ الحلوانية ، الورقة ٥ الوجه الثاني ، (٢١١ م م × ٢٠٤ م م) .

فوصفها قائلاً « دخلت داراً ذات بيوت كثيرة ، في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها فوق بعض . في بيت منها كتب العربية والشعر وفي آخرها الفقه . وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد .. وأضاف أنه أطلع على فهارس المكتبة وأختار بضعة كتب يطلع عليها فاحضرت اليه في الحال ثم يقول : انه رأى فيها من الكتب مالم يقع أسمه قط الى كثير من الناس ، وما كان قد رآه من قبل ولا رآه ايضاً من بعد »[١٦]

في (لوح ٨) نطالع مكتبة في العصر العباسي للفنان الانف الذكر فيها يصور دار كتب في مدينة البصرة التي هي منتدى المتادبين وملتقى القاطنين منهم والمغتربين . فيها يظهر جمع من رواد المكتبات جالسين يتحاورون في امور العلم والادب . ومن ورائهم مكتبة كبيرة رصت فيها الكتب افقياً بعضها فوق بعض على الرفوف . وهي افضل وضعية تحافظ على الكتاب اطول فترة ممكنة وهي الطريقة الشرقية لوضع الكتب وهي افضل بكثير من التقليد الغربي المنتشر حالياً في المكتبات من حيث وضع الكتب وترتيبها عمودياً على الرفوف[١٧] .

في (لوح ٩) تصويرة اخرى لدار كتب في البصرة لفنان آخر غير الواسطي غير معروف وهي محفوظة حالياً في المتحف البريطاني بلندن[١٨] . وهي كسابقتها تظهر اهل العلم والادب جالسين يطالعون الكتب ومن خلفهم تظهر مكتبة فيها اثنا عشر حيزاً وضعت بداخلها الكتب بوضع افقي .

هكذا كان شكل المكتبات العامة في الحضارة العربية الاسلامية والتي كانت منتشرة بشكل واسع ومتميز وملحوظ في سائر الحواضر العربية الاسلامية . وفي هذا كان الفضل للخلفاء

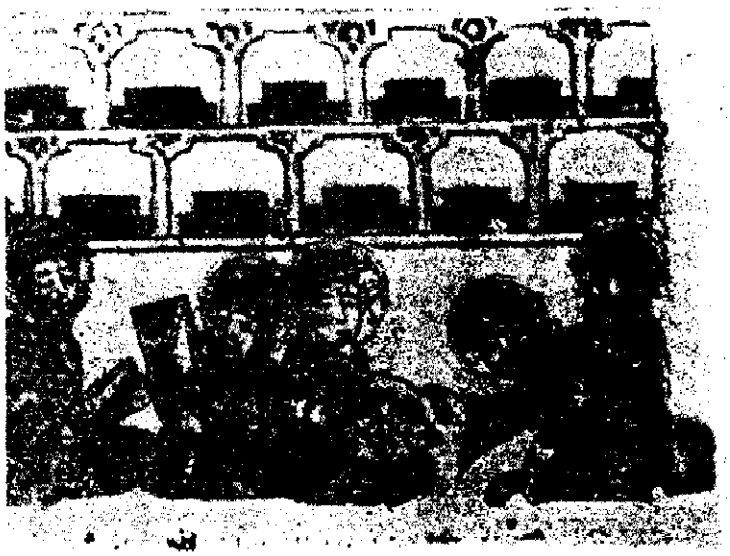

شكل ـ ٩ ـ ابو زيد في دار الكتب في البصرة ، تصويرة (المقامة الثانية) ربما بغداد ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م ١٢٠٠ آر . المتحف البريطاني . لندن .

www.dorat-ghawas.com

العباسيين فهم اول من توسع فيها وبيت الحكمة الذي سبقت الاشارة اليه كان باكورة هذا ومن بغداد انطلقت هذه الشرارة العلمية وامتدت الى الامصار العربية . ولما دخلت الحضارة العربية الاسلامية الاندلس . اقتدى حكامها بانشاء المكتبات ودور العلم فانشات في قرطبة مكتبة جمعت اليها الكتب ، وقيل ان مدينة غرناطة وحدها كان فيها سبعون مكتبة عامة .

وقد اقتدى الخلفاء الفاطميون بمصر بخلفاء الاندلس ومنهم العزيز بالله الذي تولى الحكم سنة ٣٦٥ هـ الذي انشا في عدة قاعات في قصره مكتبة سماها خزانة الكتب ولما جاء الحاكم بامر الله بن العزيز بالله للحكم ٣٩٥ هـ انشا دار الحكمة بجوار القصر الغربي بالقاهرة وينبغي ان نذكر ان المكتبات العامة التي وجدت في اوربا في بدء نهضتها كانت صورة طبق الاصل للمكتبات العربية الاسلامية[١٩] .

صورة الاجازة العلمية :

لم تكن الشهادات العلمية معروفة كما هو عليه الحال في أيامنا هذه . وكان لزاماً على من يريد ان يكون معلماً ان يواظب على حضور حلقات الدرس كيما يتحصل لديه قدر كاف من العلوم تؤهله لأن يتصدى لمهنة التدريس . التي كان لا يجلس اليها الا العلماء العارفون العالمون الذين يشهد لهم بالاحاطة والالمام العلمي التام بالمادة التي يدرسونها . وهذا كان لا يتم الا بعد ان يحصل على أجازة من معلمه . « روي ان أبا حنيفة النعمان كان يجلس في حلقة حماد بن سليمان وقد احس بأن في مقدرته ان يستقل ويكون لنفسه حلقة خاصة يعلم فيها ، لكنه حينما ترأس الحلقة ووجه اليه سؤال عجز عن الاجابة عنه عاد بعدها الى حلقة استاذه مرة ثانية »[٢٠] .

اذا تأكد للمدرس استيعاب طالب العلم للمادة التي عهد اليه بدراستها . كتب له شهادة على الورقة الاولى او الاخيرة من الكتاب الذي سوف يدرسه وسبق له دراسته والاحاطة تماماً بما جاء فيه ، يبين فيها ان الطالب قد أتقن قراءته وأجاز له تدريسه .

تسمى ككل في الأجازة وقد وصل الينا العديد من المخطوطات التي تحمل الاجازات من المعلمين لطلابهم يجيزون لهم تدريس ماجاء فيها . ومثال ذلك في دار الكتب المصرية توجد نسخة خطية من كتاب مقامات الحريري . عليها واحد وعشرون أجازة كتب اولاها كاتب المقامات نفسه ونصها على النحو الاتي :

« سمع عني المقامات الخمسين التي أنشاها الشيخ ابو المعمر المبارك أحمد بن عبد العزيز الانصاري أحسن الله توفيقه . وكتب ابو القاسم بن علي بن محمد بمدينة السلام في شعبان سنة اربع وخمسمائة ، وقد أجزت له رواية جميع مالي من مسموع »[٢١]

والاجازة العلمية فيها دلالة على رفعة المستوى العلمي لمن تمنح له ، فهي لم تكن تمنح الا لذوي المعرفة يؤذن لهم في روايتها . ويشترط فيها ان يكون المجيز عالماً بما يجيز به ، ثقة في دينه ، معروفاً بالعلم ، وان يكون المستجيز من اهل العلم ، متسماً بسمته حتى لا يوضع العلم الا عند أهله[٢٢] .

في (لوح ١٠) نلاحظ طالبين يتقدمان نحو أستاذهما كل منهما يحمل كتاباً حتى يكتب الاستاذ اجازته عليه وكما سبق الاشارة اليه ، وهذا التصوير يعود لمخطوطة خواص العقاقير . وهي محفوظة حالياً في مكتبة (طوب قابو سراي) باستنبول تحت رقم (٢١٢٧ ١١١ أحمد) وهي تحمل اسم الناسخ والرسام وتاريخ الانجاز في ظهر الورقة ٢٤٤ منها . « انجزت المقالة الخامسة من كتاب ديوسقريدس على يد العبد الضعيف ابي يوسف بهنام بن موسى بن يوسف الموصلي المتعلم صناعة الطب في عشية يوم الخميس سابع وعشرين صفر سنة ستة وعشرين وستماية هجرية وهو اليوم الخامس والعشرين من كانون الثاني . وجاءت بقية النص باللغة السريانية وهذه ترجمتها « سنة الف وخمسمائة وأربعين للأسكندر . حامداً الله تعالى »[٢٣] .

www.dorat-ghawas.com

(لوح ١٠)

صور المجالس والندوات العلمية :

كان عظم وكثرة تعدد وتنوع المجالس في المدن والمواصم العربية مظهراً من المظاهر الرائعة لليقظة العلمية والفكرية التي كانت شائعة ومنتشرة في ربوع وأرجاء الحضارة العربية الاسلامية . ان هذه الامة بلغت من الشغف بالعلم والظمأ لارتياد مناهله حداً كبيراً يشعر بعظمتها ورقيها .

وهذه المجالس كانت متعددة ومتنوعة منها كانت :

مجالس الخلفاء : تميزت الحضارة العربية الاسلامية منذ بداية عهدها بالعناية والاهتمام باختيار الشخص المناسب لتوليته الامارة . فهذا سيدنا عمر بن الخطاب أحتاج يوماً الى وال كفء ليسند له عملاً هاماً من اعمال الدولة فقال لاصحابه : « دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني ، فقالوا : فلان ، قال لاحاجة لنا فيه ، قالوا : فمن تريد ؟ قال أريد رجلاً اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كانه أميرهم ، وإذا كان أميرهم كان كانه رجل منهم ، قالوا : ما نعرف هذه الصفة الا في الربيع بن زياد الحارثي ، قال صدقتم فولاه . »[٢٤] .

الهدف من هذه العناية واضح وهو اختيار القيادي الذي يضمن تآلف القلوب ووحدة الرأي والهدف وحراسة العدالة وشمول الرحمة والسعادة ، وان يكون قوة دافعة لنشر العلم والترقي بالحياة نحو التطور والازدهار والتكامل .

كانت مجالس الخلفاء والولاة والامراء في الدولة العربية الاسلامية مجالس العلم والادب والحكمة ، وأنها أخذت تتطور وتترقى حتى بلغت في العصر العباسي شأواً كبيراً . فهذا هرون الرشيد الذي كان يحتشد في مجلسه اعلام العلماء والادباء في وقته . فمن الفقهاء الذين كانوا يرتادون مجلسه ابو يوسف والشافعي ومحمد بن الحسن ، ومن اللغويين أبو عبيدة والاصمعي والكسائي ومن المؤرخين الواقدي ومن الشعراء ابو نؤاس وابو العتاهية ودعبل ومسلم بن الوليد والعباس بن الاحنف ومن المغنين ابراهيم الموصلي وولده أسحاق[٢٥] .

وأما ولده المأمون فكان بلاطه يموج بجمهرة عظيمة من أهل العلم والادب والاطباء والشعراء والفلاسفة . وكان هو نفسه من اساطين العلماء . كان يبتديء المناقشات ويثير العلماء للبحث . ويحاورهم محاورة العالم اللبيب وكان يقيم لهم التجارب ويثبت لهم بالتجربة العلمية صحة ومصداقية آرائه ، ومنها أنه اثبت ان الهواء جسم .

قال ابو الفضل أحمد بن ابي طاهر وهو احد البلغاء الشعراء له تاليف عنوانه « كتاب بغداد في اخبار الخلفاء وأيامهم » ، يقول ذكر لنا عن عبد الله أبن طاهر الذي كان أميراً لخراسان ثم ولاه المأمون مصر وقال بحقه « انه يزيد على جميع اهل دهره نزاهة وحسن سيرة » . انه سمع المأمون يقول ان الهواء جسم وكان يخالف كل من يقول انه غير جسم . قال عبد الله : وأرانا المأمون دليل ذلك : فدعا بكوز زجاج له بلبلة ، فوضع أصبعه على البلبلة ، وملأ الكوز ماء : فامتلأ الى أعلاه ، ولم يدخل البلبلة منه شيء ، فلما رفع أصبعه من البلبلة صار الماء فيها حتى فار فخرج فدل على ان الذي كان في البلبلة هواء محصور ، وان المحصور هو جسم[٢٦] .

وكان يرعى العلماء وابناءهم . وانه قد كفل ابناء موسى العلماء المشهورين في عصره لما توفي عنهم والدهم . وان عنايته وكفالته لهم هي التي انجبت منهم علماء طار صيتهم في الافاق . وأنه طلب منهم ان يقيسوا محيط الارض . وانهم فعلوا ذلك في صحراء سنجار وجاءت نتائج قياساتهم صائبة وصحيحة . وان الخليفة المأمون اقام مرصداً في بغداد وزوده بالآت الرصد . وأنه عني عناية فائقة ببيت الحكمة . وان عصره كان من العصور الزاهية في تاريخ النهضة في العالم الاسلامي[٢٧] .

سار على هذا النهج والمنوال خلفاء الدولة العربية الاسلامية على مرّ العصور مع تباين فيما بينهم وتفاوت املته عليهم الوقائع والاحداث المختلفة التي دارت في ازمنتهم . ولكن على العموم كان الخلفاء والامراء والسلاطين يتفاخرون بتقريب العلماء « حتى ان ابا الاسود الدؤلي قال جملته المشهورة « الملوك يحكمون الناس والعلماء يحكمون الملوك » وكان يشير بذلك الى عهد الخلفاء المسلمين وأحترامهم للعلم والعلماء .»[٢٨]

ولم تقتصر مجالس العلم على الخلفاء فقط بل تعدتهم الى الوزراء والولاة والقضاة وسائر من كان يتولى منصباً في مناصب

www.dorat-ghawas.com

لوح ١٣ ، ابو زيد السروجي يهاجم والي مدينة الري بحد المقامة ٢١ ، الرازية ، المنمنمة على صفحتين متقابلا الورقة ٥٨ الوجه الثاني والورقة ٥٩ الوجه الاول « ٢٩٨ م م × ٥٢٥ م م ٣٠٥ م م » .

(لوح ١٥)

النجاة التي كانت تسند دائماً الى اهل العلم والادب والحنكة والدراية . الواسطي في (لوح ١١ ، ١٢) يظهر لنا مشهداً في حضرة قاضي ، وفي (لوح ١٣) يظهر مشهداً امام والي مرو اما في (لوح ١٤) فيظهر والي مدينة الري الذي حضر لأحد مجالس العلم والوعظ في المسجد وفيها يظهر الحشد الكبير الذي حضر المجلس ومنهم النساء جلسوا في مكان خاص وهن يرتدين العباءة والنقاب بينما جلس الوالي في مقصورته وحوله حراسه .

لوح ١١ ، ابو زيد يشكو ابنه امام قاضي صعده ، المقامة ٣٧ ، الصعيدية : الورقة ١١٤ الوجه الثاني (٢١٥ م م × ١٩٠ م م) .

www.dorat-ghawas.com

صور مجالس العلماء :

لما كان الجو الثقافي في عموم أرجاء الدولة العربية الاسلامية يمور بالطلاب والعلماء والنسخ والجدل والترجمة . كان لابد من اللجوء الى منازل العلماء لطلب العلم او الاماكن التي يتواجد فيها العلماء من مساجد ومدارس ، او دور وراقين التي كانت احد مجالس العلماء . « وحسبك ان تعلم ان ابن النديم صاحب الفهرست » وياقوت صاحب « معجم الادباء ومعجم البلدان » كانا وراقين ـ اي بائعي كتب . وكثيراً ما كان أبو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني ، وابو نصر الزجاج الاديب اللغوي المشهور يلتقيان في دكاكين الوراقين ، يتحدثون عن الشعر والادب مع الشعراء الذين كانوا يفدون الى تلك الدكاكين »[٢٩] .

اما عن مجالس العلماء في دورهم فقد وردت أشارات تاريخية كثيرة نذكر منها « مثلاً كان يجتمع كل ليلة في دار ابن سينا في همدان طلبة العلم كما يقول الجوزجاني صاحبه ـ وكنت اقرأ معه الشفاء وكان يقرأ غيري من القانون نوبة . وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للأمير (شمس الدولة) وقضينا على ذلك زمناً . وكان أبو سليمان السجستاني في أواخر القرن الرابع أعور به وضح فانقطع عن الناس فكان منزلهُ مقصداً للعلماء والاجلاء ـ ويذكر القفطي ان ابا الحسن المنجم كان صديقاً لأبي سليمان وكان كثيراً مايجتمع في منزله ببغداد بكبار العلماء يتذاكرون ويتناظرون في مواضيع شتى ومنهم .... ابو حيان التوحيدي وقد الف ابو حيان كتابه الامتاع والمؤانسة على اساس هذه المجالس وكانت دار الامام الغزالي مرتاداً للعلماء والطلاب ببغداد بعد ان أعتزل وعكف على كتابة : إحياء علوم الدين . وقد فصل علي بن محمد القصيص (ت سنة ٥٠٦ هـ / ١١٢٢ م) عن المدرسة النظامية لكن أفواج المتعلمين كانت تقصده في داره لمتابعة القراءة عليه »[٣٠]

في (لوح ١٥ ، ١٦) نلاحظ عدداً من العلماء داخل بيوتهم يطالعون او يدرسون أحد طلابهم ، وهي رسوم تعود لمخطوطة الترياق المحفوظة حالياً في المكتبة الوطنية في باريس .

في (لوح ١٧) نطالع عدداً من رسوم لأطباء أغريق ترجم لهم العرب المسلمون عدداً من مؤلفاتهم الفنان رسمهم وأضفى عليهم الطابع العربي الاسلامي وكتب اسم كل طبيب الى جانبه . وهي محفوظة حالياً في المكتبة الوطنية بفينا .

في (لوح ١٨) وهي احد رسوم الواسطي نطالع مجلس أدب في الهواء الطلق وفي (لوح ١٩) نطالع مجلساً آخر من مجالس الادب التي صورها لنا الواسطي .

(لوح ١٦)

www.dorat-ghawas.com

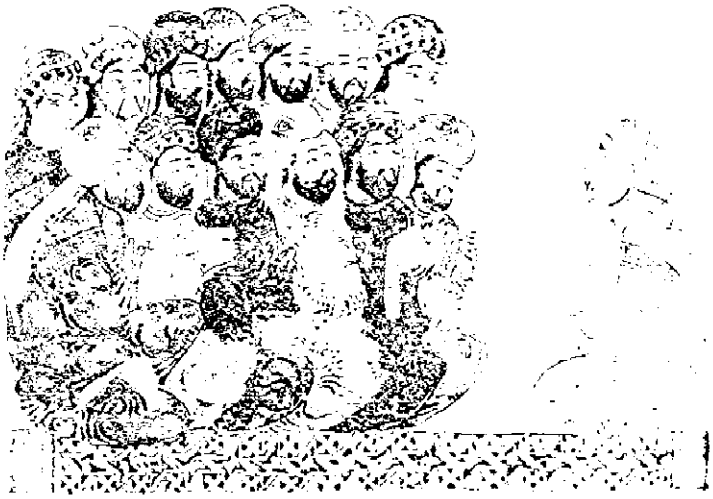

لوح ١٨ ابو زيد يمتحن مجموعة من الادباء ، المقامة ٤٠٢ ، النجرانية ، الورقة ١٣١ الوجه الثاني ، ٢١٥ م م × ١٤٤ م م » .

البعض من الرسوم التوضيحية العلمية :

وصل الينا ضمن بعض المخطوطات العلمية التي جاءتنا من أجدادنا العظام عدد من الرسوم العلمية التي تشرح بعضاً من المعلومات العلمية الواردة في المخطوط . وهي تظهر الحالة والمستوى العلمي الذي كان عليه أجدادنا في مجدهم التليد في

لوح ١٩ ، ابو زيد يجلس مع جماعة من الادباء ، المقامة ٣٦ الملطية ، الورقة ١١٠ الوجه الاول ، (٢٢٨ م م × ١٨٠ م م) .

ميدان الطب .

في (لوح ٢٠) نلاحظ رسوماً لعلاج الكسور والعلاج بواسطة الكي في مواضع ومناطق مختلفة من جسم الانسان

في (لوح ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) رسوم توضيحية لاجهزة الجسم المختلفة . رسمها منصور بن محمد بن أحمد في كتاب تشريح الانسان

www.dorat-ghawas.com

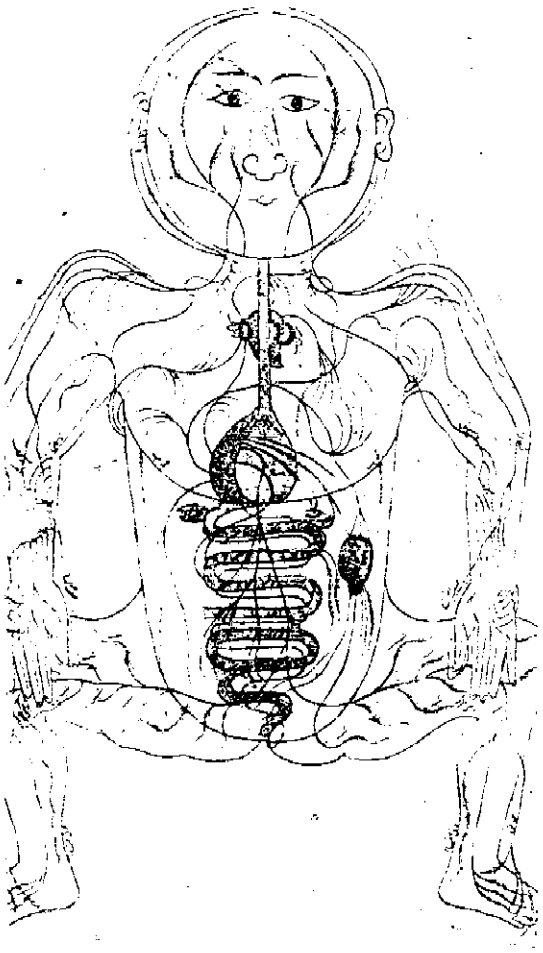

(لوح ٢١)

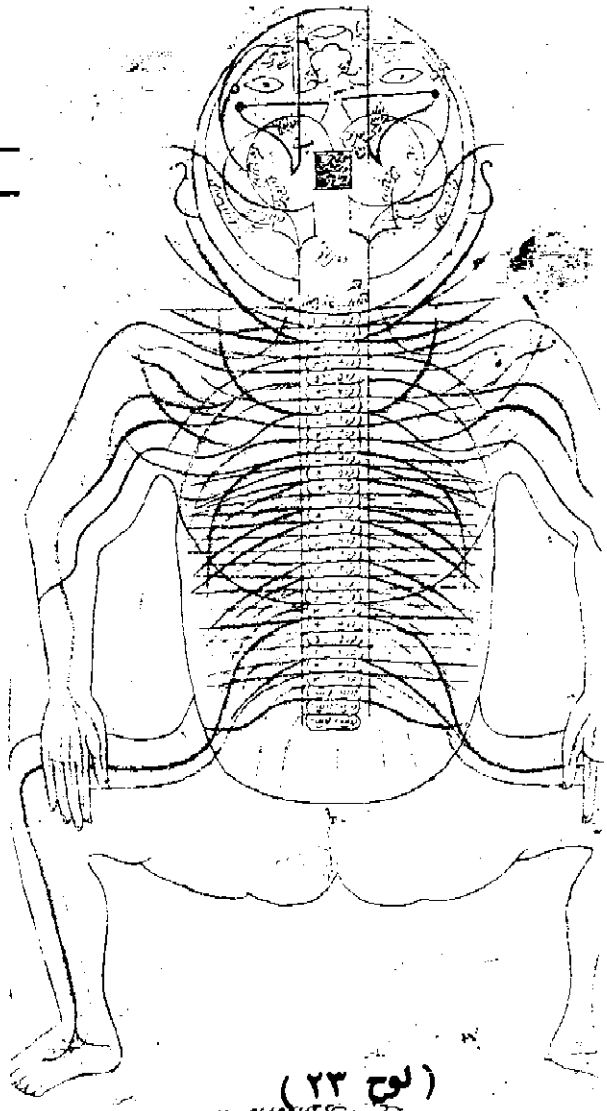

(لوح ٢٣)

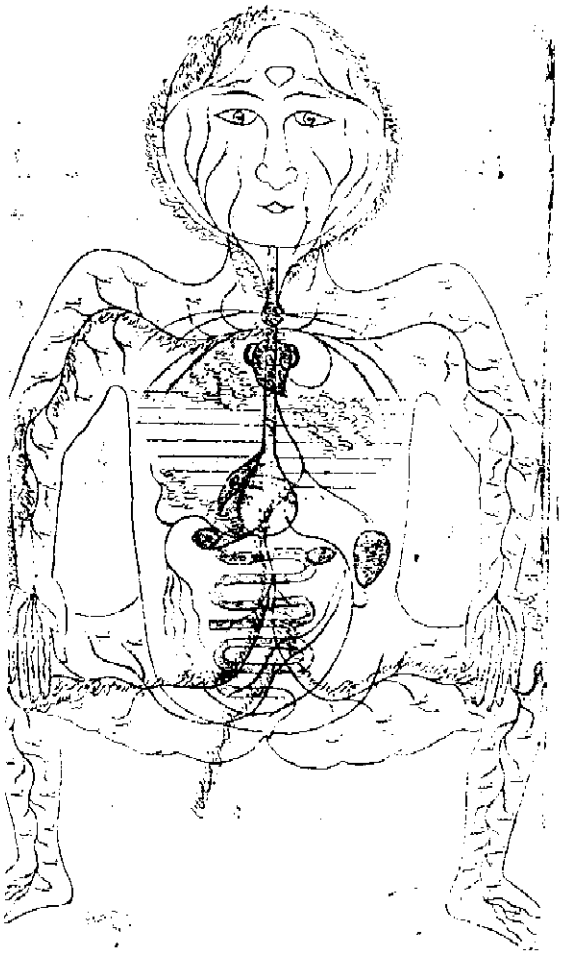

(لوح ٢٢)

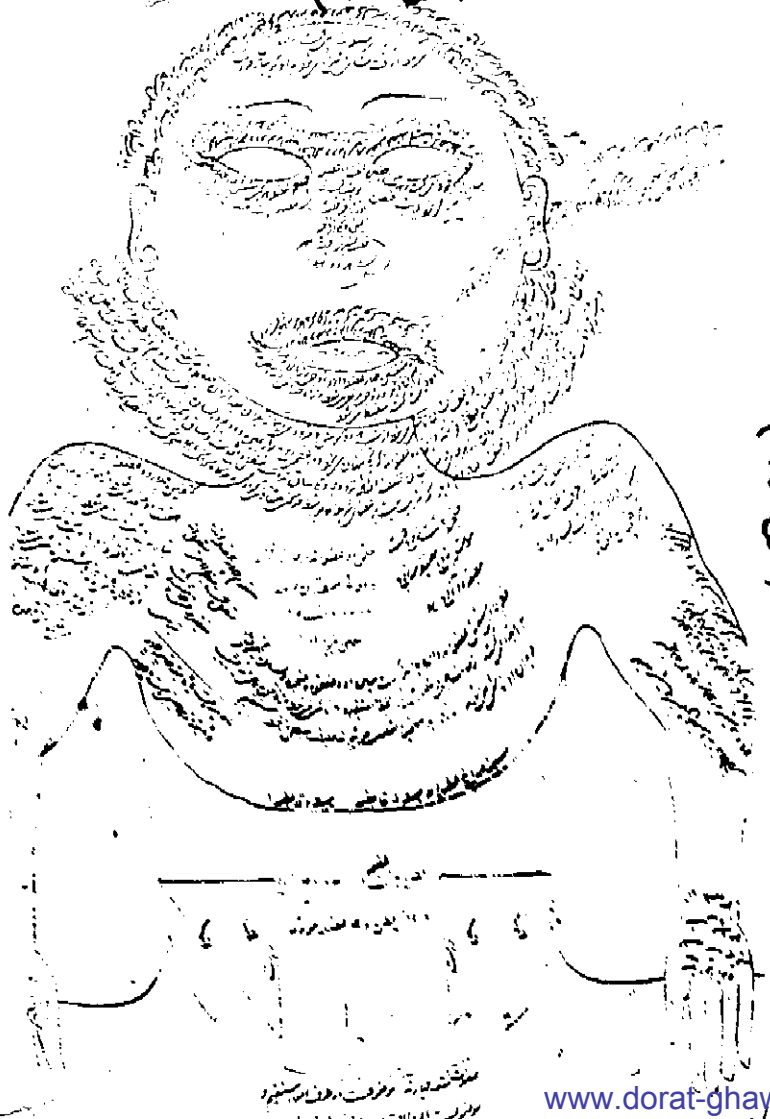

(لوح ٢٤)

www.dorat-ghawas.com

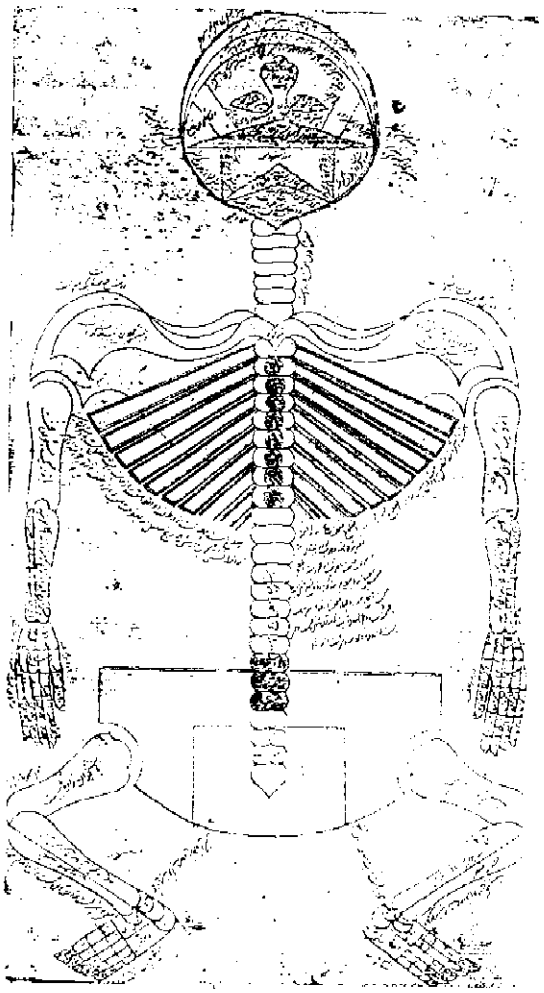

(لوح ٢٥)

الهوامش والمصادر

١ ـ انظر محمد مصطفى محمد ، الفهرست الموضوعي لآيات القران الكريم ، العراق مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الدينية سلسلة الكتب الحديثة (٢٦) ، سنة ١٩٨١ ، ص٢٦٦ ـ ٢٧٢

٢ ـ أنظر أحمد علي الملا ، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوربية ، بيروت دار الفكر ، ص٥٠

٣ ـ أنظر المقدسي ، أحسن التقاسيم ، بيروت ، ص ٢٠٥

٤ ـ لتفاصيل اكثر عن هذه المدرسة انظر د . خالد الجادر ، المخطوطات العراقية المرسومة في العصر العباسي ، العراق وزارة الثقافة والاعلام ، مهرجان الواسطي ، سنة ١٩٧٢ .

٥ ـ انظر د . عيسى سلمان حميد ، الواسطي يحيى بن محمود بن يحيى رسام وخطاط ومذهب ومزخرف ، العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، مهرجان الواسطي ، سنة ١٩٧٢ ، ص١٩ ـ ٢٠

٦ ـ انظر د . خالد الجادر ، المخطوطات العراقية ، ص٢٣ ـ ٢٨

٧ ـ انظر د . عيسى سلمان ، الواسطي ، ص٢٠

٨ ـ راجع محمد الحسيني عبد العزيز ، الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، الكويت ، دار الناشر ، ص٣٣

٩ ـ انظر الشيخ مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، طبعة ثانية سنة ١٩٧٧ ، ص١٢٩

١٠ ـ انظر شاكر مصطفى ، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني ، الكويت ذات السلاسل ، سنة ١٩٨٨ ، ج ٢ ص٦٩٠

١١ ـ انظر ماجد عبد الله الشمس ، مقدمة لعلم الميكانيك في الحضارة العربية ، جامعة بغداد مركز احياء التراث العلمي العربي ، سنة ١٩٧٧ ، الجزء الاول ، ص٨٩ وما ورائها .

(١٢ ـ ١٣) ـ انظر مصطفى السباعي ، المصدر السابق ، ص١٥٥ ـ ١٥٦

١٤ ـ انظر شاكر مصطفى ، المدن في الاسلام ، ج ٢ ص٧٢٤

١٥ ـ انظر احمد علي الملا ، المصدر السابق ، ص٥٧

١٦ ـ انظر شاكر مصطفى ، المدن في الاسلام ، ج ٢ ص٧٢٢ ـ ٧٢٣

١٧ ـ انظر د . ثروت عكاشة ، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري ، دار المعارف بمصر ، ص٢٥

١٨ ـ عن كتاب ناهدة عبد الفتاح النعيمي ، مقامات الحريري المصورة ، العراق دار الرشيد للنشر ، سنة ١٩٧٩ ، ص٣٤٢

١٩ ـ انظر د . عز الدين فراج ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوربية ، دار الفكر العربي ، ص١١٨ ـ ١٢١

(٢٠ ـ ٢١) ـ أنظر محمد الحسيني ، المصدر السابق ، ص٣٨ ـ ٣٩

٢٣ ـ انظر . خالد الجادر ، المصدر السابق ، ص٥٩

(٢٤ ـ ٢٥) ـ انظر الشيخ مصطفى السباعي ، المصدر السابق ، ص١٦٦ ـ ١٦٧

٢٦ ـ انظر ميخائيل عواد ، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، العراق دار الرشيد ، سنة ١٩٨١ ، ص٧٨

٢٧ ـ انظر محمد الحسيني ، المصدر السابق ص٥٩ ـ ٦٠

٢٨ ـ انظر د عز الدين فراج ، المصدر السابق ، ص٣٦

٢٩ ـ انظر الشيخ مصطفى السباعي ، المصدر السابق ، ص١٦٩ ، وللمزيد راجع شاكر مصطفى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٦٩٢ ـ ٦٩٥ .

٣٠ ـ انظر شاكر مصطفى ، المصدر السابق ج ٢ ص٦٢٥ ـ ٦٩٦

www.dorat-ghawas.com